

(١)

رحلة الإسراء ومكانة الحبيب (صلى الله عليه وسلم) فيها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وبعد:

فقد جاءت رحلة الإسراء والمعراج تكريمًا إلهيًا لنبينا (صلى الله عليه وسلم) بعد ما أصابه من أذى قومه ما أصابه، فصبر، وصابر، ورابط، وتحمل، وتضرع إلى ربه سبحانه، حيث يقول تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}، وقد كانت هذه الآيات في ختام سورة الطور، لتأتي بعدها سورة النجم بالتشريف والتكريم، والحديث عن هذه المعجزة المباركة، حيث يقول تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}.

وهذا التكريم والتشريف لنبينا (صلى الله عليه وسلم) قد جاء بأفضل وصف، وأعلى مقام، مقام الصفاء، والنقاء، والتسليم، والخضوع المطلق لله (عز وجل)؛ وهو مقام العبودية، حيث يقول تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وهو مقام يحبه نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فقد سأله سيدنا جبريل (عليه

(٢)

السلام): يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ؟ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (بَلْ عَبْدًا رَسُولًا)، وَإِذَا كَانَتِ الرِّسَالَاتُ قَدْ خُتِمَتْ بِبَعْثَةِ نَبِينَا (صلى الله عليه وسلم)، فَإِنَّ مَقَامَ الْعِبُودِيَّةِ يَظَلُّ بِأَبْوَابِ رَحْمَةِ وَاسِعَةٍ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ولمكأنه نبينا (صلى الله عليه وسلم) عند ربه رُفِعَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، لِيَدْرِكَ مَنْزِلَةَ لَمْ يَبْلُغْهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ، حَيْثُ يَقُولُ (صلى الله عليه وسلم): (ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، فَإِذَا نَبُحَهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقَهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ).

ومن مظاهر تكريم الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) استقبال جميع الأنبياء السابقين له في المسجد الأقصى وصلاته بهم إمامًا، حيث قال له سيدنا جبريل (عليه السلام): يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَقَدَّمَ صَلِّ بِهِمْ، فَأَنْتَ لَهُمُ الْإِمَامُ، كَمَا رَحَّبَ بِهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنْبِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا، قَائِلِينَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، وَدَعَا لَهُ وَلِأُمَّتِهِ بِالْخَيْرِ.

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج رحلة عطاء، وإكرام، ومنح لنبينا (صلى الله عليه وسلم) ولأُمَّتِهِ، يَقُولُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه): لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... أُعْطِيَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَةَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحَمَاتُ، [أي: المعاصي دون الشرك].

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٣)

ومن مظاهر تكريم الله (عز وجل) لنبينا (صلى الله عليه وسلم) تخفيفه الصلاة عن أمته بعد أن فرضها سبحانه عليه في هذه الليلة المباركة، وقد بين ذلك نبينا (صلى الله عليه وسلم) في قوله حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: (... وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ... فَأَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لَأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ...)، وظل (صلى الله عليه وسلم) يسأل ربه حتى صارت الصلاة خمسا في العمل، وخمسمائة في الأجر، يقول (صلى الله عليه وسلم): (فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة)، ثم يعلمنا (صلى الله عليه وسلم) درس الحياء، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسأله التخفيف، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه).

اللهم ارزقنا حسن التأسي بنبينا (صلى الله عليه وسلم)، واحشرونا في زمرة.